الإسلام من منظور جبران خليل جبران

الأستاذ المساعد الدكتور مصطفى كمالجو
قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة مازندران ـ بابلسر ـ إيران
kamaljoo@umz.ac.ir

Islam from the view of Gibran Khalil Gibran

Mostafa Kamaljoo
Assistant proffessor of Arabic Language and Literature , University of Mazandaran , Babolsar , Iran

الملخص:-

هناك من يدعي أن جبران خليل جبران كان مرتدا ومتهما بالكفر. ولكنه بالرجوع إلى مؤلفاته نرى أنه لايوجد شيء يدل على ذلك، بل مؤلفاته مليئة بالدفاع عن الدين الحق المتروك والمسيح المنسي لدي مدعي الدين. إن جبران في آثاره يندفع إلى الدين و ضروره إقامه الدين الحقيقي وإضافه على ذلك هو كمسيحي حقيقي يحترم الأديان السماوية الأخرى خصوصا الإسلام. هو يحترم الإسلام والنبي العربي وعليا عليه السلام ويعتبر المسلمين إخوه له. هو يذكر مجد الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام والقرآن الكريم. إن جبران يدعو المسلمين إلى التمسك بالدين الحقيقي والقرآن والخضوع أمام قاده الدين المخلصين ويحذّرهم عن الإهمال في الأمور الدينية والتعاليم الدينية.

الكلمات المفتاحية: النبي محمد، الإمام علي، القرآن، الإسلام، جبران خليل جبران، المرتد، المسيح المنسي، رجال الدين.

Abstract:-

Someone claims that Gibran Khalil Gibran was an apostate and accused of blasphemy, But by referring to his writings, we see that there is no evidence for that, And his writings are full of defending the forsaken religion and the forgotten Christ of the claimant of the religion. Gibranj in his books rushes to religion and its necessity to establish the true religion. In addition to that, he is, as a true Christian, respects the other monotheistic religions, especially Islam. He respects Islam, the Arab Prophet, and Ali (PBUH), and considers Muslims to be his brothers. He mentions the glory of Islam, the Prophet and Ali (PBUH) and the Holy Quran. Gibran calls on Muslims to adhere to the true religion and the Qur'an and submit to the faithful leaders of the religion. He warns them about neglecting religious matters and religious teachings.

Key words: Prophet Muhammad, Imam Ali, the Qur'an, Islam, Gibran Khalil Gibran, the apostate, the forgotten Christ, the clergy.

المقدمـة:

كان جبران خليل جبران من اكبر ادبا المهجر وكان متهما بالكفر والإلحاد بسبب آرائه في الدين وهجومه على رجال الدين بسبب تعاضدهم و مؤازرتهم الحكام الظالمين. وكان بهذا السبب يهاجَم عليه من كل جانب فدرست مؤلفاته وكتبه حول الدين. وفي البحث هذا نرى أن هذا الرجل المتهم بالكفر كتب كتبا جميلة عن المسيح وعن دينه. ومؤلفاته مليئة بأجمل العبارات حول الدين. هو كمفكر وكأديب رومنسي حرّ يحترم كل الأديان السماوية و قد أثر البيئة المهجرية على رأيه في الدين. هو يكرم الإسلام والقرآن والرسول الأكرم ﷺ وعليا عليه السلام. ويبدي عن آرائه عن الدين الإسلامي ومظاهر هذا الدين الجليل.

وقد قسم المقالة إلى عدة اقسام وابتدأت بالحال الديني عند المهجريين ثم شرح رأي جبران عن الإسلام وتاثره بالشخصيات و الكتب الإسلامية.

يسعى هذا البحث إلى أن يجيب عن السؤالين التاليين:

ما هي وجهة نظر جبران عن الدين؟ وما هو دور الدين وهدفه في حياة البشر؟

فرضية البحث:

إن جبران لا يرى الدين إلّا قوانين سنّها الله للبشر كما يعتقد أن كلّ الأديان بأسرها يأتي من مصدر واحد.

دراسات سابقة:

عرض الباحثة مهديه شهرياري نسب مقالة " تأثر جبران خليل جبران بنهج‌البلاغة" في المؤتمر العالمي للغة والأدب. وأشارت الباحثة إلى أن جبران خليل جبران شأن كثير من الأدباء المسيحيين تأثر بنهج البلاغة وفي المقالة أتت بشواهد من هذا التأثر.

مقالة "المشتركات العرفانية في شعر محمد حسين شهريار ومؤلفات جبران خليل جبران" للباحثين عبد الأحد غيبي وحسن اسماعيل‌زاده؛ وفرشته اصغري، نشرت في مجلة "زبان وادب فارسي" عام ٢٠١٩. وقد استجلى البحث أن الأديبين ينتسبان إلى الرومنسية أما في برهة من حياتهما ظهر العرفان في مؤلفاتهما.

كما لا يفوتني أن نشير إلى كتاب "سهراب سبهري وجبران خليل جبران في مرآة الرومنسية" للكاتبين زهراء صداقتي، وزهراء سليماني، نشره دار "فرهنگ و تمدن" في إيران عام ١٩٩٥ وقد أشارت الكاتبتان إلى تأثير الرومنسية في مؤلفات الأديبين الشهيرين سهراب سبهري وجبران خليل جبران.

الإسلام عند المهجريين:

إن الأكثرية الساحقة من الأدباء العرب الذين هاجروا إلى خارج بلادهم كانوا مسيحيين مؤمنين بالله ولكنهم كانوا رافضين الخلاف بين المسيحي والمسلم والفروع المختلفة للدين المسيحي كما كانوا متسامحين في الدين. وكان الأديب المسيحي جنبا إلى جنب المسليمن يشارك في حفل تكريم ميلاد نبي الإسلام ﷺ وينشد الأشعار ويخطب إكراما له. (عبدالدايم، ١٩٩٣: ٢٤١)

شارك الشاعر القروي سليم الخوري في عيد ميلاد نبي الإسلام ﷺ وأنشد:

أكرم هذا العيد تكريم شاعر ... يتيه بآيات النبي المعظم

ولكنني أصبو إلى عيد أمته ... محررة الأعناق من رق أعجم

إلى علم من نسج عيسى وأحمد ... وآمنة في ظله أخت مريم

(سليم الخوري، ١٩٧١: ٣٥٦)

أبرز الأدباء المسيحيون حبهم للإسلام لأنهم كانوا مفكرين أحرارا و وجدوا الإسلام دينا متكاملا.حتى أسلم واحد منهم و غيّر اسمه من إلياس طعمة إلى أبي الفضل الوليد بن عبدالله طعمة و كان هذا بفضل وجود المهاجرين المسلمين مثل سيف‌الدين الرحال ومحمود شريف. (الخازن، ١٩٨٤م: ٤٨١)

وهذا ميخائيل نعيمة يعتقد أن نبي الإسلام طبيب لكل داء ومرشد الناس إلى الكنوز الربانية لمدفونة فيهم. ويقول: جاء محمد فقال بوحدانية الإله الذي أعلنه موسى ولكنه ما استاثر به للعرب دون سواهم من الامم وقال بالبعث وبالثواب والعقاب وبجنة للصالحين وجحيم للاشرار. هكذا اتفقت الديانات الثلاث في أسسها من حيث مصدر الانسان و مآبه و إن اختلفت في تفاصيلها. (نعيمة، المجلد الخامس، ١٩٧٢م: ٣٣٥) ويقول أمين الريحاني

إجلالا للإسلام والمسلمين: لسنا من الزاعمين بأن الدين الإسلامي هو الحاجز دون ترقي الامم. (الريحاني، ١٩٨٧م: ٣٩) وطمأن المسيحيين اللبنانيين إلى أن: المسلمين لأشد إخلاصا في وطنيتهم من المسيحيين وأسدّ رأيا. فهم يطلبون استقلالا تاما دون وصاية أروبية. وهذا صريح جلي و المسيحيون يتغنون بالوطنية ويطلبون استقلالا ناقصا بمشارف هذه الدول أو تلك. (المصدر نفسه: ١٥٥)

و يشير القروي إلى مجد الإسلام حاضّا المسلمين على النهوض مفضّلا الإسلام على الأديان الأخرى قائلا: إن الديانات الأخرى خالفت الطبيعة فمنها ما قتل الروح بشهوات الجسد ومنها ما احتقر الجسد تعظيما للروح، أمّا الإسلام فسار مع الطبيعة روحه في روحها. (سليم الخوري، ١٩٨٤م: ٨٠)

هو يختار الإسلام من بين المذاهب الأخرى ويقول: أيها الناس! إني لموقن أن الإنسانية بعد أن يئست من كل فلسفاتها وعلومها وقنطت من مذاهب الحكماء جميعا، سوف لا تجد لها مخرجا من مآزقها وراحة لروحها وصلاحا لامرها إلّا بارتمائها بحضن الإسلام، تجد فيه حلّا لمشاكل الحياة و التوفيق بين قوي الإنسان جميعا، جسدا وعقلا وروحا. (المصدر نفسه: ٨٠).

و كان نعيمة من المعجبين بشخصية علي عليه السلام ويقول: خير نبت أنبتتها أرضنا العربية حتى الآن وهو قمة سامقة بين القمم التي تشع من أعاليها أنوار الخير والصلاح والهداية للناس. (نعيمة، المجلد السابع: ٢٨٥)

وأشار إلى أن تسليم علي عليه السلام برسالة محمد صلى الله عليه وآله دليل على ذهنه المتوقد وبصيرته النير ويقول: كان لفرط ما به من رهافة الحس بالجمال أو من الشوق إلى النور، يبصر الجمال قبل أن يسفر الجمال عن وجهه ويلمح سنا النور قبل أن ينبلج النور لعينيه. (المصدر نفسه: ٢٨٤)

وقال عن محمد صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام: (كأنهما منذ ولادتهما كانا على موعد مع النور والخير والصلاح. (المصدر نفسه: ٢٨٥).

و كان رشيد أيوب معتقدا بتوحيد الأديان و أنشد:

أصـــلّي لموســـى وأعبـــد عيســـى وأتلـــو الســـلام علـــى أحمـــد

(أيوب، ١٩٥٩م: ٥٤)

وأنشد إيليا أبوماضي في هذا المجال:

تبـــاع أحمـــد والمســـيح هـــوادةً مـــا العهـــد أن يتنكّـــر الإخـــوان

(أبوماضي، ١٩٦٠م: ٤٥)

جبران، والإسلام، والمسلمون:

كان الإسلام الدين الذي شغل جبران به، لأنّ المسلمين كانوا شركاء جبران في حياته الاجتماعية في أرض لبنان وأراضي المهجر، وكان جبران شأن كثير من أدباء المهجر متأثرا بهم. إنّ جبران ينظر إلى المسلمين بنظر سخط واحترام. من جانب يستنكرهم ويبغضهم لأنّ العثمانيين المسلمين ظلموا المسيحيين ومن جانب آخر يحترمهم لأنهم كانوا تباع دين سماوي راق. يحسب جبران المسلمين مواطنين له ويحثّهم على الحرية والاستقلال عن الدولة العثمانية التي سيطرت على المسلمين واستغلّت منافعهم. ويخاطب جبران مسلما، قائلا: أنت أخي بيسوع وموسى ومحمد. أنت أخي بالقيود التي جرّها آباؤنا وأجدادنا. أنت أخي بالأم والدموع. ومَن تجمعهم نكبات الدهور و أوجاعها لن تفرّقهم أمجاد الدهور وأفراحها. أنت أخي أمام قبور ماضينا وأمام مذبح مستقبلنا. (جبران، ١٩٤٩م: ٥٦٠)

ويشير جبران في هذا الكتاب إلى أن العقائد الإسلامية لا تحترم عند المسلمين و لا يحافظ المسلمون على الأصول الإسلامية، فحلّ بالإسلام ما حل بالمسيحية. (أبي فاضل، ١٩٩٢م: ٦٧٨)

يقول جبران في قصة "إرم ذات العماد": ولدت مسيحيا غير أنني أعلم إنّنا إذا جرّدنا الأديان ممّا تعلّق بها من الزوائد المذهبية والاجتماعية وجدناها دينا واحدا. (جبران، ١٩٩٢م: ٢٠٩)

الإسلام براي جبران حقيقة هائلة، شرط أن يبقي مجردا عن الزوائد التي تسلبه ما فيه من العزم والحياة وإذا كثرت فيه الزوائد فتلك ناتجة من أمراض في المسلمين أنفسهم وليس في الإسلام كحقيقة. وقد عبّر جبران عن رأيه حول الإسلام والمسلمين في رسالة "إلى المسلمين من شاعر مسيحي" وقال: أنا مسيحي ولي فخر بذلك ولكنني أهوي النبي العربي و أكبّر اسمه وأحب مجد الإسلام وأخشي زواله ... أنا أكره الدولة العثمانية لأنّني أحبّ الإسلام وعظمة الإسلام ولي رجاء برجوع مجد الإسلام. أنا أجلّ القرآن ولكنني أزدري

من يتخذ القرآن وسيلة لإحباط مساعي المسلمين، كما أنني أمتهن الذين يتخذون الإنجيل وسيلة للتحكم برقاب المسيحيين. (المصدر نفسه: ٢٠٩) وسأل جبران المسلمين محاولا إثارتهم على العثمانيين: ماذا يغرّكم أيها المسلمون بالدولة العثمانية وهي اليد التي هدمت مباني أمجادكم، بل هي الموت الذي يراود وجودكم؟ أ وَ لم تنتهِ المدنيّة الاسلامية ببدء الفتوحات العثمانية؟ ...خذوها يا مسلمون، كلمة من مسيحي أسكن يسوعا في شطر من حشاشته ومحمدا في الشطر الآخر! إن لم يتغلّب الإسلام على الدولة العثمانية، فسوف تتغلّب أمم الإفرنج على الإسلام. (المصدر نفسه: ٢١٠)

الشخصيات الإسلامية عند جبران:

يذكر جبران نبي الإسلام بالعظمة ويقول: و خاطرٌ واحد أوجد مجد الإسلام. (المصدر نفسه: ١٨٢)

وله كلمات عن الإمام علي عليه السلام تدلّ على احترامه إياه: أنا أعتقد أن ابن ابي طالب أوّل عربي لازمَ الروح الكلي وجاورها وسامرها. ترك الدنيا ولما يبلغ رسالته وأغمض عينيه على الدنيا كأنبياء يبعثون في المجتمعات التي لاتسعهم ويدخلون على الذين لايليقون به ويظهرون في زمان غير زمانهم. ولله في هذا الأمر حكمة لايعلمها إلا الله. (عبدالمقصود، ١٣٥٥هـ.ش: ١٣) يقول جبران هذه العبارات وهو يعتقد أنّ تلك الأمم ما كانوا بقادرين أن تحفظوا ذلك الجوهر بينهم.

المضامين القرآنية في مؤلفات جبران:ـ

كان جبران يحب القرآن على وصفه كتابا سماويا و استهلمه مرارا. وقد وظّف بعض الآيات القرآنية في مؤلفاته. استخدم جبران آية: "كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون" (البقرة، ٢٧)

ثلاث مرات في مؤلفاته. وأتي بآية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ في صدر قصة إرم ذات العماد. (الفجر، ٧)

كما وظّف الكلمات الخاصة بالإسلام في مؤلفاته مثل: الله أكبر، و الله، وليلة القدر، ولاإلهإلاالله و... كما سمي بطل القصة، آمنة وهي من أحبّ الأسماء الإسلامية.

يشير جبران إلى القرآن ويقول: هو اتحاد ألوهيتين على إيجاد ألوهية ثالثة على الأرض هو تكاتف اثنين قويين بحبهما لمقاومة دهر ضعيف ببغضه. هو تمازج خمرة صفراء برحيق قرمزى لتوليد شراب برتقاني يحاكي لون الشفق عند مجيء الفجر. هو تنافر روحين من التنافر واتحاد نفسين مع الاتحاد. هو حلقة ذهبية من سلسلة أوّلها نظر وآخرها اللانهاية. هو انهمال غيث نقي من سماء طاهرة نحو طبيعة مقدّسة لاستخراج قوى حقول مباركة... فإذا كانت النظرة الأولى من وجه المحبوبة مثل نواة ألقتها المحبة في حقل القلب، والقبلة الأولى من شفتيها تشابه أوّل زهرة في غصن الحياة، فالقرآن بها يحاكي أول ثمرة من أول زهرة من تلك النواة. (جبران، ١٩٤٩م: ٢٨٥)

إن جبران كمفكر كان على الاتصال الدائم بالكتب القمية خصوصا الكتب المقدسة مثل القرآن والإنجيل والتوراة ونهج البلاغة. وقد أدي هذا الاتصال إلى تأثره بهذه المصادر. فتاثر جبران بهذه الكتب ولهجة الأنبياء و الرسل ظاهرة في مؤلفاته.

جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الانشراح، ٦) ويقول جبران: يا ابني لا يستثمر الإنسان المحبة إلا بعد بعاد أليم. (جبران، ١٩٤٩م، ٢٥٩.)

وجاء في آية أخرى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(المؤمنون، ١١٥).

ويقول جبران في هذا المجال: وأن ليس تحت الشمس شيء باطل بل كل شيء كان وسيبقي سائرا نحو الحقيقة. (جبران، ١٩٤٩م: ٢٧٥).

وجاء في آية أخرى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة، ١١٠) ويقول جبران: وإن شئتم أن تعرفوا ربّكم فلا تعنوا بحلّ الأحاجي والألغاز بل تأمّلوا ما حولكم تجدوه لاعبا مع أولادكم. وارفعوا أنظاركم إلى الفضاء الوسيع تبصروه يمضي في السحاب، ويبسط ذارعيه في البرق، وينزل إلى الأرض مع الأمطار. تأمّلوا جيدا تروا ربكم يبتسم بثغور الأزهار، ثم ينهض ويحرك يديه بالأشجار. (جبران، ١٩٤٩م: ١٣٠)

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة، ٢٨) ويقول جبران في هذا المجال: أنا كنت منذ الأزل وها أنذا، وساكون

إلى آخر الدهر و ليس لكياني انقضاء.(جبران، ١٩٤٩م: ص ٤٠٠)

المضامين المشتركة بين جبران وعلي عليه السلام:

وفي مؤلفات جبران مصاديق من كلام الإمام علي عليه السلام. قال الإمام عليه السلام: "السخاء ما كان ابتداء فأما ما كان عن مسالة فحياء و تذمم. (نهج البلاغة، حكمة ٥٣) ويقول جبران في هذا المعنى: جميل أن تعطي من يسألك ما هو في حاجة إليه ولكن أجمل من ذلك أن تعطي من لا يسألك و أنت تعرف حاجته.(جبران، ١٩٤٩م: ص ٩٠)

وقال الإمام علي عليه السلام: إنّ قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وأنّ قوما عبدوا الله خوفا فتلك عبادة العبيد وإنّ قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار. (نهج البلاغة، حكمة ٢٣٧) ويقول جبران في هذا المعنى:

والدين في الناس حقل ليس يزرعه	غير الألي لهم في زرعه وطر
من آمل بنعيم الخلد مبتشر	ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ماعبدوا	ربّا و لولا الثواب المرتجى كفروا
كانما الدين ضرب من متاجرهم	إن واظبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

(جبران، ١٩٤٩م: ٣٣٩ و ٣٣٨)

وقال الإمام عليه السلام:

أتزعم أنك جرم صغير	وفيك انطوى العالم الأكبر

وفي هذا إشارة إلى أن معرفة الله ومعرفة العالم إنما تكون عن طريق معرفة النفس ومع أنّ الإنسان قد أحرزت نجاحا باهرا في كل العلوم لكنه لا يزال عاجزا عن معرفة نفسه والطاقات الكامنة فيه. ويقول جبران في هذا المعني: خيّل إلى بالأمس أني ذرة مرتجفة في دائرة الحياة بغير انتظام واليوم اعرف كل المعرفة إني إنا الدائرة وإن الحياة بأسرها تتحرك فيّ بذرات منتظمة.(المصدر نفسه: ١٤٧)

النتيجة:

نستنتج من المقالة هذه أن جبران كان يُجلّ الإسلام والمسلمين وله آراء جميلة في الدين خصوصا الدين الإسلامي. هو يحترم الإسلام كدين هدفه حرية الإنسان من قيود العبودية.

كان جبران يحترم الرسول العربي وعليا عليه السلام ويجلّ القرآن ككتاب هداية. واستشهاده بالآيات القرآنية ووجود المضامين المشتركة بين آيات القرآن و بين مؤلفات جبران يدل على تاثر جبران بالقرآن.

كما في مؤلفات جبران مضامين تطابق تماما عبارات نهج البلاغة، وهذا يشير إلى اعتناء جبران بالكتب المقدسة عند المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

- نهج البلاغة، شرح وتحقيق صبحي صالح.
- أبوماضي، إيليا، تبر و تراب، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، ١٩٦٠م.
- أيوب، رشيد، الأيوبيات، الطبعة الأولى، بيروت، دارصادر -دار بيروت، ١٩٥٩م.
- بديع أبيفاضل، ربيعة، الفكر الديني في الادب المهجري، المجلد الاول، الطبعة الأولى، بيروت، دار جيل، ١٩٩٢م.
- خليل جبران،جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، العربية و المعربة، الطبعة الأولى، بيروت، مكتب العالم العربي، ١٩٤٩م.
- خليل جبران، جبران، المجموعة الكاملة، نصوص خارج المجموعة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م.
- الخازن، وليم، الشعر والوطنية، الطبعة الأولى، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٤م.
- الريحاني، امين، القوميات، المجلد اول، الطبعة السابعة، بيروت، دارجيل، ١٩٨٧م.
- سليم الخوري، رشيد، ديوان القروي، الطبعة الأولى، ليبيا، الوزارة الداخلية، ١٩٧١م.
- عبدالدايم، صابر، أدب المهجر، الطبعة الأولى، مصر، دارالمعارف، ١٩٩٣م.
- عبدالمقصود، عبدالفتاح، الإمام عليعليه السلام، المجلد الاول، ترجمه: سيد محمود طالقاني، الطبعة الأولى، طهران، الشركة السهامية للنشر، ١٣٥٥هـ. ش.
- نعيمة، ميخائيل، المجموعة الكاملة لمؤلفات ميخائيل نعيمة، المجلد الخامس، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢م.